

مأساة من سوفوكليس

أنتيجوني

للأستاذ دريني خشبة

وزوج من أمه ، وأولدها ولديه وابنتيه ، جن جنونه ، وسمل
عينيه ، وهام على وجهه في الأرض حيران ، وتبعت ابنته الناعمة
أنتيجوني ، لهدية سيده الى غابة كوكولونوس ، حيث غالته ربات
الذعر بما لم يحسن يدها !

وعادت أنتيجوني لتجد أخوها يقتتلان من أجل
العرش ... (١)

وقتل الاخوان المتحاربان كل بيد الآخر في مبارزة مشثومة
واستوى كريون على عرش طيبة ، وأصدر أمرين كل منهما
تقيض الآخر

أمر بأن تحتفل طيبة كلها بملكها السابق إنيوكليس ... أم
أخوه ... أما بولينيسيز ... فترك في بطحاء طيبة جزر السباع
تنوشه جوارح الطير وكلاب البرية ، من غير أن تقام له الشعائر
الدينية التي تقام لمباد الآلهة المؤمنين ، ومن غير أن يضم رفاته
قبر ، أو يمحي عليها تراب ؛ وقضى أن كل من يجروء على مخالفة
هذا الأمر فجزاؤه القتل في أبشع صورة . والتكليل والتجميل !

— ٢ —

« أنتيجوني واختها اسميه أمام النصر الملكي بطيبة »

— « أختاه ! إسميه ! أهكذا قضت السماء أن تتجرع .
أنا وأنت ثمالة الكأس ، والنطف الأخيرة من آلام أوديبوس !
ألا حذني يا أختاه : هل يملك الامر المأفون الذي أصدره كريون
الملك بخصوص أخويننا ؟ »

— « أي أمر يا أختاه !

— « لهذا جئت معك الى هنا كيلا يسمع نبحوانا أحدا

— « إذن ... تكلمي ! إن نظراتك المضطربة تشف أبنيا

هائلة !

— « لماذا يُفترق كريون بين الموتى في حقوق السماء

القدسة ؟ لقد أمر أن تحتفل طيبة بأسرها بجنائز إنيوكليس ...
في حين ترك جثة بولينيسيز في عراء طيبة لجوارح الطير ، وسباع
البرية ، من دون ما دفن ولا إقام شعائر ... حتى التراب ... لقد
أني أن يمحي عليه التراب يا أختاه ! والآن ! لقد أنبأتك بكل
شيء ! فهل تبرهنين على كرم أرومشك ! وشوف عنضرك ،
فتعاونيني فيما اعترمت ، أم ...

(١) لخصنا هذه الحوادث في إسكيلوس (الأعداد الأخوية السابقة

من الرسالة)

سوفوكليس : ولد سوفوكليس سنة ٤٩٦ ق م ، ومات سنة
٤٠٦ أي أنه عاش عمرا طويلا مباركا قضى منه أكثر من ٦٥ سنة
في إنتاج أدبي متصل . ولم يصلنا من مآسبه التي أربت على المائة
غير سبع فقط لإحداها مأساة اليوم (أنتيجوني) ، التي تنبر أطرف
تحفة في الأدب الكلاسيكي السرسى . وسوفوكليس هو تلميذ
إسكيلوس ، وقد ظل يقلده ويعتق على دربه أكثر من عشرين عاما
ثم استقل ببعدها بجنته وطرقته في الأدب ، ولكنه عاد فقلد مناسه
الأكبر بوربيديز . ولم يحدث سوفوكليس ثورة ما في روح الرواية
المرسحة ولكنه تار بالمرح نفسه من الوجهة الشكلية (التكنيكية)
فأكثر من المثلين وعدد من الناظر وقلل من أهمية الخورس ، وقد
ساعدته ثروته وعيشته الراغدة على تنفيذ المسرح برواياته الهادئة التي
كان يخدم بها الفن من حيث هو فن خالص ، ولا يبتنى بها ثورة على
التقاليد أو إحداث تغيير في نظم الحياة . وكان مؤدبا مع الآلهة ، فلم
يضع مأساته إسكيلوس مع ربات الذعر حين سفه منطقهن في محاكمة
أورست مثلا . وسوفوكليس هو أستاذ شا كبير من حيث تركيز
البطولة في أكثر مآسبه في المرأة وسترى ذلك فيما نلخصه لك من
المآسى . ولم يتقيد سوفوكليس بالدرامة الثلاثية Trilogy مثل أستاذه ،
ولكنه فضل المأساة المستقلة الواحدة وإن كان قد كتب ثلاث مآسى
في موضوع واحد متصل ، فانه كان يجعل كلا من أجزاء هذا الموضوع
فصلا مستقلا بنفسه كل الاستقلال عن الفصلين الآخرين ، وقد تعلم
سوفوكليس الموسيقى في صغره وحذقها وترأس فرقة موسيقية في
الاحتفال بذكرى « سلايس » وكان على قسط كبير من الجمال في
صباه ، وكانت أدوار النساء في بعض الدرامات — ومنها دراماته —
توكل اليه لتأديتها لهذا السبب . ولم يتترك في حروب وطنه (أثينا)
لاعتباره من كبار الأعيان ولأنه كان صاحب مصانع الأسلحة التي تزود
الجيش بكل ما تحتاج من عتاد . وقد تورط بسبب حياة الترف التي
كان يميهاها في غمها آثم كلفه كثيرا من ماله ، فاضطر ابنه الى مقاضاته
وطلب من المحلفين الجبر عليه ، ولكن سوفوكليس عرف كيف يدافع
عن نفسه حتى برئت ساعته ، ثم استقام بعد ذلك . وقد فاز سوفوكليس
على إسكيلوس للمرة الأولى سنة ٤٦٨ بدرامته المفقودة (تريولوجوس)
ثم فاز في عشرين مباراة بعد ذلك وعين سنة ٤٤٠ أميرالا للاسطول
(وإن لم يمتح حربا ما) ، وعين سنة ٤٤٣ عضوا في مجلس
الوكلاء (مجلس الصخرة) وبمحبته أن يكون أفريقى شخصية تمثل عصر
بركليس بطوله . ومات قبل أن يتشهد سقوط أثينا

— ١ —

حينما اكتشف أوديبوس السر الهائل ، وعرف أنه قتل أمه

« إذن لا تبوحى يسرك لأحد، وسأكنم أنا الأخرى كل شيء ! »
 « بورك فيك ! بل تحدثى به لكل من يلقاك ... للناس أجمعين ! »
 « أنت تتحدين خصومك ! يا اللطيش ! »
 « تحد يسر قوماً آخرين ... »
 « هذا إذا نجح قصدك، وتم تديرك ... على أننى أراك تضرين على غير هدى »
 « حسنا ! سأحاول، فإذا فشلت فقد أدبت واجبي »
 « بل ينبغي ألا يحاول الانسان المحال »
 « ها ها ... إن كلامك جدير باحتقارى بقدر ما هو خليق بمقت أخيك ... اصمتى ! على وحدى وزر ما أنا قادمة عليه ... ولن يجزمنى القضاء من موتة شريفة خالدة ! »
 « لتذهبي ! إنه يدولى أن لا سبيل للوقوف بسيلك، ياطاشة ! وإن تكن جراءتك آية وفائك وبرهان محبتك ... (تخرج كل منهما من ناحية)

- ٣ -

ويقبل الخورس (مهاجرة طيبة) فينشدون ويهزجون، ويتننون آلام طيبة ذات سبعة الأبواب وأشجانها، ويرددون الحان المأساة الباكية ... مأساة أوديب، ثم يلح رئيسهم كريون، ملك طيبة وطاغيتها. مقبلا، فيصمت ويصمتون (يدخل كريون)
 « أيها الأصدقاء ! إخوانى أبناء طيبة الأخيار ! إصغوا إلى ! لقد تمت المأساة، واقترض الذكوران من نسل لا يوس، وبالأمس ما خرجوا ترى الوطن بدماء لا يرضى الآلهة إهراقها، وها قد آلت الساطة إلى، سلطة الحكم، وسلطات الملك، وسلطان الملك محك الرجال؟ وإنى آخذ فيكم بخطئة هي إلى خيركم أقرب، وعلى وطنكم أجدى؛ لا أحب الجبان، ولا أوقر رجلا يؤثر صالحه أو صالح أصدقائه على صالح الوطن ... الوطن سفينة الجميع، فيجب على الجميع هدايته إلى شاطئ الأمان، ويجب أن تزيد دائما في عظمة طيبة وعنفوانها ومجدها ! ولقد علمتم ما كان من ولدى أوديبوس، وعرفتم كيف كان إيتوكليز ينفذ بنفسه بلاده، ويرد عنها جحافل الأعداء الذين جردم عليها بولينيسيز ... الخائن ! الذى أشقى أمته وأهان دولته وكان عليها

واشؤماه ! وهل بيد ضميعة مثل حل أو ربط ! ما ذا تريبنى أصنع ؟
 « ألا تقاسمينى حل هذا الأمر ومراه ؟ »
 « ما ذا تتنين ؟ »
 « نقاسم، أنا وأنت، فنذهب إلى أخينا من فورنا هذا فندفنه ! ؟ »
 « ندفنه على الرغم من نذير الملك؟ أهذا رأيك ؟ »
 « إلى وإيم السماء ! سأدفن أخى وأخاك فاما امتحمت فاني لن أنكص، ولن أخون إخوتي وحناني وكبريائى ودى ! ! »
 « مجنونه ! ! وكريون ! أما تبالين أوامره ! »
 « كريون ؟ ! وهل له الحق فى منى من القيام بشعائر ديتى نحو أخى ؟ ! »
 « أختاه ! أقتيجونى ! قليلا من الحكمة يا أختاه ! أذكركى كيف كانت نهاية أبويننا المزيزين ! أذكركى كيف شفت أمتنا قسها حين علمت أن زوجها هو ابنها ؟ واذكركى كيف حمل أبونا عينيه وذهب سمك إلى كولونوس ليتحصى كأس النون ! واذكركى أيضا كيف اقتتل أخوانا وقتل كل منهما الآخر ! أفلم يبق وراء كل أولئك إلا أن تلقى بأيدينا أنا وأنت إلى التهلكة ؟ ! أما عين نفسى، فاني أفضل الخضوع لأمر ول الأمر، فاني امرأة ولم تخلق النساء لشاكلة الرجال ! »
 « إذن ... فلن أرغمك على شيء ... وحسب هذه اليد الكريمة أن تقوم بالأمر كله وحدها ! يا للفخر أن أضطلع بكل شيء ثم أموت ! كم تشيع الكبرياء فى نفسى حين ألقى أخى فى الدار الآخرة وقد أدبت له هذا الحق بمفردى ! ! إن هذه الحياة لا بد أن تنتهى، فلم لا تكون نهايتها هذه الجريمة المقدسة ؟ أنت تأيين أن تردى قوانين الأرض، ولكنك لا ترفضين أن تحتقرى مع كريون شرائع السماء ! فهنتا لك ! يهنيك ما اخترت لنفسك يا أختاه ! »
 « أنا لا أزدى ولا أحتقر، ولكن أخشى ثورة الأولياء ! »
 « كأتى بك تتذرين عن حياتك ! اطمئنى ! سأذهب وحدى لأدفن جثمان أخى ! »
 « بالآلهة ! كم أخشى عليك ! »
 « لا تضئى خصيتك ومخاوفك عبثا ! عليك نفسك ! »